

تفسير البحر المحيط

@ 31 @ وأيس إذ ذاك من فلاهم ، فنادى ربه وهو أعلم بحاله فدعائي ليس لأجل أنهم آذونني ، ولكن لأجل دينك . { فَإِفْتَحْ } ، أي فاحكم . ودعا لنفسه ولمن آمن به بالنجاة ، وفي ذلك إشعار بحلول العذاب بقومه ، أي : { وَزَجَّنِي } مما يحل بهم . وقيل : ونجني من عملهم لأنه سبب العقوبة . والفالك واحد وجمع ، وغالب استعماله جمعاً لقوله : { وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاضِيرَ فِيهِ } ، والفالك التي تجري في البحر } ، فحيث أتي في غير فاصلة ، استعمل جمعاً ، وحيث كان فاصلة ، استعمل مفرداً لمراعاة الفواصل ، كهذا الموضوع . والذي في سورة يس ، وتقديم الخلاف إذا كان مدلوله جمعاً ، فهو جمع تكسير ، أم اسم جمع ؟ والمشحون ، قال ابن عباس : الموقر ، وقال عطاء : المثقل . { * } ، فحيث أتي في غير فاصلة ، استعمل جمعاً ، وحيث كان فاصلة ، استعمل مفرداً لمراعاة الفواصل ، كهذا الموضوع . والذي في سورة يس ، وتقديم الخلاف إذا كان مدلوله جمعاً ، فهو جمع تكسير ، أم اسم جمع ؟ والمشحون ، قال ابن عباس : الموقر ، وقال عطاء : المثقل . { ثُمَّ أَغْرِقْنَا بَعْدُ } : أي بعد نجاة نوح والمؤمنين . .

{ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ * أَلَا تَرَى قُوْنَ * إِنْ يَلْكُمْ رَسُولُ أَمْيَنْ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُونَ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْدُونَ بِكُلِّ رَبِيعٍ إِيَّاهُ تَعْبُثُونَ * وَتَرَتَّخُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْتَدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُونَ * وَاتَّقُوا الْذِي أَمَدَ كُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ * أَمَدَ كُمْ بِأَزْعَامِ وَبَذْنِينَ * وَجَنَّاتِ وَعُيُونَ * إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوْ عَظَّتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنْ الْوَاعِظَينَ * إِنْ هَادَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوْلَيْنَ * وَمَا زَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكَنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنْ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } . .

كان أخاهم من النسب ، وكان تاجراً جميلاً ، أشبه الخلق بآدم عليه السلام ، عاش أربعين سنة وأربعين سنة ، وبينه وبين شmod ما مائة سنة . وكانت منازل عاد ما بين عمان إلى حضرموت . أمرع البلاد ، فجعلها إمارات ورملاً . أمرهم أولاً أمر به نوح قومه ، ثم نهى عليهم من سوء أعمالهم مع كفراهم فقال : { أَتَبْدُونَ بِكُلِّ رَبِيعٍ } ؟ قال ابن عباس :

هو رأس الزقاق . وقال مجاهد : فج بين جبلين . وقال عطاء : عيون فيها الماء . وقال ابن بحر : جبل . وقيل : الثنية الصغيرة . وقرأ الجمهور : ربع بكسر الراء ، وابن أبي عبلة : بفتحها . قال ابن عباس : { ءَايَةٌ } : علماً . وقال مجاهد : أبراج الحمام . وقال النقاش وغيره : القصور الطوال . وقيل : بيت عشرار . وقيل : نادياً للتصلف . وقيل : أعلاماً طوالاً ليهتدوا بها في أسفارهم ، عبثوا بها لأنهم كانوا يهتدون بالنجوم . وقيل : عالمة يجتمع إليها من يبعث بالمار في الطريق . وفي قوله إنكار للبناء على صورة العبث ، كما يفعل المترفون في الدنيا . والمصانع : جمع مصنعة . قيل : وهي البناء على الماء . وقيل : القصور المشيدة المحكمة . وقيل : الحصون . وقال قتادة : بر克 الماء . وقيل : بروج الحمام . وقيل : المنازل . واتخذ هنا بمعنى عمل ، أي ويعملون مصانع ، أي تبنون . وقال لبيد :

وتبقى جبال بعدها ومصانع .

{ لَعَلَّ كُمْ تَخْلُدُونَ } : الظاهر أن لعل على بابها من الرباء ، وكأنه تعليل للبناء والاتخاذ ، أي الحامل لكم على ذلك هو الرباء للخلود ولا خلود . وفي قراءة عبد الله : كي تخلدون ، أو يكون المعنى يشبه حالكم حال من يخلد ، فلذلك بتبيتهم واتخذتم . وقال ابن زيد : معناه الاستفهام على سبيل التوجيه والهزة بهم ، أي هل أنتم تخلدون : وكون لعل للاستفهام مذهب كوفي . وقال ابن عباس : المعنى كأنكم خالدون ، وفي حرف أبي : كأنكم تخلدون . وقراء : كأنكم خالدون . وقرأ أبي ، وعلقمة ، وأبو العالية ، مبنياً للمفعول مشدداً ، كما قال الشاعر :